

نصية الدرس الدلالي ودلالية الدرس النصي دراسة لغوية

م.د. مرتضى مزيد جبر

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الأولى / ١

الملخص

يبحث الدرس النصي الحديث في النصوص اللغوية عما يسميه النصيون المحدثون (بالنصية) ، ويبحث الدرس الدلالي القديم والحديث في النصوص اللغوية عما يسميه الداليون (بدلالية المعنى) ، لكن ذلك لم يمنع الدرس النصي عن البحث في دلالية المعنى ، ولم يمنع أيضاً الدرس الدلالي عن البحث في النصية اللغوية ، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على نصية الدرس الدلالي ودلالية الدرس النصي ، مستعيناً بالقصدية (أحد أهم معايير النصية في الدرس النصي الحديث) وبمعنى الدلالة (لب الدرس الدلالي القديم والحديث) .

Specialist supervisor ministry of education

MURTADAH MAZYED JABR

Summary

Lesson semantic text and semantic lesson Script

Lesson text talk in the language texts looking as he calls Nasaon narrators (Balnasih), examines the ancient and the modern lesson semantic in the language versions of what he Aldlallion (Bdalalah sense), but that has not stopped the lesson text search for semantic meaning, and also prevents the lesson Semantic for Find language text, this research was to highlight the text lesson semantic and semantic lesson text, using Balqsidih (one of the most important standards in the text lesson text speak) and the sense of (the heart of the ancient and modern lesson semantic).

المقدمة

لم يكن الدرس الدلالي عند علماء العربية القدماء درساً مستقلاً عن بقية الدروس اللغوية ، وكان ما نسميه اليوم بعلم الدلالة ونصفه بأنه علم من علوم اللغة العربية ، قد تناثرت قضاياها بين الكتب والمعاجم اللغوية ، والمصنفات القرآنية وكتب النقد والبلاغة ، ويتضح ذلك جلياً في كتاب سيبويه ت ١٨٠ هـ ، ومعاني القرآن للفراء ت ٢٠٧ هـ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ت ٢١١ هـ واصلاح المنطق لابن السكيت ت ٢٤٤ هـ والحيوان للجاحظ ت ٢٥٥ هـ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ ، ومعجم الجمهرة لابن دريد ت ٣٢١ هـ ، وكتب ابن جني ت ٣٩٢ هـ والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ت ٣٩٥ هـ ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي ت ٤٢٩ هـ ، وكتابي دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ .

وعلى الرغم من تناثر قضايا الدرس الدلالي للغة العربية في هذه المصنفات فإن النظرية الدلالية قد تشكلت وتكاملت ولاسيما بعد طبع هذه المصنفات وتحقيقها وعرضها على طاولة البحث والدراسة ، فاللغة العربية عند علمائها ((ليست مستوى واحداً ، يتميز بخصائصه الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية ، والدلالية ، عن كل لهجة..... وإنما هي مجموع اللهجات القبلية ذاتها)) (١) ، مما جعل بعض الموضوعات مثل المشترك اللفظي ، والترادف ، والعموم والخصوص ، والمطلق والمقيد ، تمثل اللبنة الأولى في تقعيد الدرس الدلالي للغة العربية ، وعناية العلماء بالمعنى الدلالي للألفاظ والتراكيب اللغوية (٢) .

إن الباحث في نشأة الدرس اللغوي للغة العربية ، يجد أن النحو العربي كان ((منذ نشأته الأولى مهتماً بالمعنى ، يعتد به ويدوره في التقعيد ، وهناك تفاعل قائم مستمر بين الوظيفة النحوية ، والدلالية المعجمية للمفرد الذي يشغل هذه الوظيفة ويشكل هذا التفاعل بينهما مع الموقف المعين ، المعنى الدلالي للجملة كلها)) (٣) . فالتكلم والنص والسامع والتفاعل بينهم والموقف المعين أو ما يسميه النصابون المحدثون بالمقامية (٤) والمعنى الدلالي للجملة أو القصد (٥) كلها عناصر بحثها الدرس الدلالي في اللغة العربية قديماً وحديثاً ، فمدار الدلالة عند الجاحظ هو ((المعنى الموجز ايجازاً)) (٦) ، ومدار الدلالة عند ابن جني هو أن ((اللغة وجدت للمحاورة والمشاركة لوجود المجاورة)) (٧) ، ألا تراه يعرّف اللغة بأنها ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) (٨) بمعنى أنها ((المعاني أو الدلالات التي يراد نقلها من المتكلم الى مستمع ، تستخدم الأصوات المنطوقة أو المكتوبة صورة لها ، فهنا إذن جانبان أحدهما مادي أو مرئي والآخر إدراكي معنوي وكلا الجانبين يؤثر في الآخر ويتأثر به)) (٩) ، ومدار الدلالة عند ابن سينا ((هو القصد والإرادة لأنها دلالة وضعية متعلقة بإرادة المتلفظ الجارية على قانون الوضع)) (١٠) .

فالمعنى الموجز عند الجاحظ ، والمعاني المنقولة من المتكلم الى السامع عند ابن جني ، والقصد والارادة عند ابن سينا هي من معايير تحقق النصية في الدرس النصي الحديث .
ولعل ذلك يتضح أكثر في كلام عبد القاهر الجرجاني الذي قال فيه إن المتلقي لا يخلو ((من أن يكون عالماً باللغة وبمعاني الألفاظ التي يسمعها أو يكون جاهلاً بذلك ، فان كان عالماً لم يتصور ان يتفاوت حال الألفاظ معه فيكون معنى اللفظ أسرع الى قلبه من معنى لفظ آخر ، وإن كان جاهلاً كان ذلك في وصفه أبعد)) (١١) .

ومعنى ذلك أنه كلما كان المتلقي على ((علم بمحتوى الخطاب اللغوي كلما كانت الدلالة أسرع الى فهمه ، وكلما كان جعله بمحتوى الخطاب كلما صعب عليه إدراك الدلالة)) (١٢) فتواصلية النص بين المتكلم والمتلقي تحددها مقبولية (١٣) المتلقي والافتراض المسبق (١٤) وحالة الاستلزام (١٥) ومقامية الحوار بينهما ، ولم يغيب قصد المتكلم عن الجرجاني فقد ذكر أن ((الحكم بوجود المخبر به من المخبر عنه أو فيه اذا كان الخبر إثباتاً والحكم بعدمه اذا كان منفيّاً)) (١٦) بمعنى أن الدلالة متوقفة ((على أمر خارجي يرجعه الجرجاني الى قصد المتكلم من إعلام السامع)) (١٧) أو الاعلامية ، كما يسميها النصيون . (١٨)

إن نصية الدرس الدلالي ودلالية الدرس النصي تتجلى أكثر في الحديث عن نظرية النظم عند الجرجاني التي أراد بها ((توخي معاني النحو في معاني الكلم)) (١٩) فالمعاني ((جمع معنى . وهو في اللغة المقصود ، وفي اصطلاح البيانين هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن)) (٢٠) وأما النحو ((ففي اللغة القصد وفي الاصطلاح إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره)) (٢١) وأما الكلم ففي اللغة جمع كلمة وفي الاصطلاح ما زاد عن ثلاث كلمات وإن لم يحسن السكوت عليه)) (٢٢) ، إذن فمعاني النحو تعني الصورة الذهنية للكلام المقصود والمسبوك بحسب قواعد اللغة ومعاني الكلم تعني الصورة الذهنية لدلالة الكلام وإن لم تقد .

وتأسيساً على ذلك لنا أن نقول إن معاني النحو تعني نحو النص ومعايير السبعة (٢٣) ، وأن معاني الكلم تعني نحو الدلالة أو علم الدلالة ((وليس المراد بمعاني النحو هو الإعراب ، إذ إن الإعراب لا دخل له في الفضل والمزية)) (٢٤) ، وإنما الفضل والمزية يرجع إلى ((مجموعة من العلاقات بين الكلمات ، وارتباط بعضها لبعض في تماسك شديد ، بحيث تفتقر كل كلمة الى ما بعدها في انسجام وتتاسق)) (٢٥) ، الا تراه _ أي الجرجاني _ يقول فالألفاظ المفردة لم توضع ((لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها الى بعض)) (٢٦) ، فالسبك أو الانسجام أو التماسك ، والحبك أو الاتساق أو التتاسق ، معياران يتصلان بدراسة النص في نحو النص (٢٧) ، الذي عبر عنه الجرجاني ((بمعاني النحو وجعل النظم في التركيب لافي التحليلواذا أراد تحليلاً للمعنى فهو يبدأ بتحليل التركيب دفعة واحدة)) (٢٨) ، وهو ما أطلق عليه الجرجاني معاني الكلم الذي يقابله علم

الدلالة في الاصطلاح الحديث لخلق حالة من التوازن داخل النص اللغوي بين نحو الإعراب ، ونحو الدلالة .

ومدار الدلالة عند البحراني ت ٦٧٩ هـ ، هو ((وضع الكلام على النهج الذي يقتضيه علم النحو ، والعمل بقوانينه وأصوله))(٢٩) ، ومدار الدلالة عند الراغب الاصفهاني ت ٥٠٢ هـ هو ((مايتوسل به الى معرفة الشيء كدلالة اللفظ على المعنى))(٣٠) فالمعيار النصي عنده يعتمد على مقبولية المتلقي في فهم الألفاظ ودلالاتها.

ومدار الدلالة عند ابن خلدون ٨٠٨ هـ ، إنما ترجع ((الى صورة ذهنية للتركيبوتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب والمنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصا حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام))(٣١) . فالمعايير النصية عنده تنحصر في الصورة الذهنية للتركيب (٠ القصد) ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة (السبك) فيرصها رصا (الحبك) ، حتى يتسع القالب (المقبولية) .

وتأسيساً على ذلك فإن علم الدلالة هو علم خاص ((بدراسة المعنى في المقام الأول ، ومايحيط بهذه الدراسة أو يتداخل معها من قضايا وفروع كثيرة صارت اليوم من صلب علم الدلالة كدراسة الرموز اللغوية ومفردات وعبارات وتركيب ، وغير اللغوية كالعلامات والإشارات الدالة))(٣٢) . وبعد ذلك فهو علم يعتمد أركان العملية اللغوية الثلاثة (المتكلم ، والنص ، والسامع)والمعايير النصية التي تحقق حالة النصية في النص ،كالقصديّة في دلالة النص ،والمقبولية في مستوى علم المخاطب به ،والسبك في انتقاء التراكيب الصحيحة له ، والحبك في رصها رصا ،والمقامية في السياق التي جاء فيه ،والظروف التي أحاطت به ، والتناص في الخبرات التي امتزجت معه ، والإعلامية في الأمور الخارجية التي شاركت أركان العملية اللغوية الثلاثة.

قصد النص ومعنى الدلالة

تراحمت مفاهيم السبك وتحقيق مقاصد المتكلم ، وهدف النص ، وطرائق المتكلم ، والمكونات السياقية ، والمقامية ، والترابط على تعريف القصد في الدرس النصي الحديث . (٣٣) ولم يكن تعريف المعنى أحسن حظاً من تعريف القصد ،فوضع ((تعريف جامع للمعنى يتفق عليه اللغويون والمدارس اللغوية الحديثة من الامور الصعبة التي لم تحقق حتى الآن))(٣٤) فتراحمت مفاهيم الموقف ، والعلاقات السياقية ، والقصد والقيمة ، والمدلول عليه ، والاستدعائية بين الدال والمدلول على تعريف المعنى ، في الدرس الدلالي القديم والحديث (٣٥)

والباحث في مفاهيم هذه التعريفات يجد صلة وشيجة بين القصد والمعنى ، بل قد يعتقد أنهما عينان لوجه واحد ، وهذا صحيح وجيد ويضاف إليه الآتي:-

١- إن نقاط الالتقاء بين تعريفات القصد والمعنى ، التي مثلتها (الموقف والعلاقات السياقية ، والقصد) لا تمنع من وجود نقاط اختلاف بينهما مثلتها بقية معاني التعريفات الأخرى ، فنقاط الالتقاء وإن مثلت نصية الدرس الدلالي ، ودلالية الدرس النصي ، فإن نقاط الاختلاف مثلتها أيضاً ، لكن من جانب آخر ، وهذا ما سأحاول توضيحه في النقطة الآتية في الحديث عن لبّ القصد في الدرسين النصي والدلالي .

٢- إن جوهر القصد ولبّه يبحث في طرائق المتكلم في الوصول الى غاية النص(٣٦) ، فإن كانت غاية النص تفسير النص وتحليله كان المعنى حاضراً في القصد من دون تفاوت في قوته ، وإنما التفاوت قد يقع في الأسلوب (٣٧) .

وإن كانت غاية النص تثبيت النص وتأكيد المعنى حاضراً بتفاوت ، ومن هنا قالوا إن المعاني (تتفاوت بتفاوت مقاصدها)((٣٨) فيكون المعنى في القصد على ثلاثة أشكال ، وهي كالاتي (٣٩)
١- المعنى

كما في قولنا : الجوبارد

فالمعنى هنا ((وهو المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة))(٤٠)

ب- معنى المعنى

وهو ((أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر))(٤١) فهو بحسب المثال السابق (الجو بارد) يكون المعنى إغلاق الشباك فوراً أو ناولني معطفي رجاءً.

ج- ظلال المعنى :-

وهو أن تعطي سلسلة مختلفة من الافتراضات في الذهن (٤٢) ، أو ما يسمى اليوم بنظرية الحقول الدلالية . فالبعبارة السابقة (الجو بارد) تعني ((سلسلة مختلفة من الافتراضات في ذهن البحار والسائح ومتعهد الأسفار ورجل الأعمال))(٤٣) وهلم جرا .

٣- إن مدار الحديث عن قصد النص ومعنى الدلالة يتضح جلياً ويتسع أكثر في الحديث عن بعض المحسنات المعنوية واللفظية في علم البديع أحد علوم البلاغة العربية (٤٤) ، وعلى النحو الآتي :-

١- التورية :- وهي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان أحدهما قريب ظاهر غير مراد (معنى الدلالة) ، والآخر بعيد خفي هو المراد بقرينة (قصد النص) .

ب- الاستخدام : وهو ذكر لفظ مشترك بين معنيين يراد به أحدهما (معنى الدلالة) ، ثم يعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر (قصد النص).

ج- الاستطراد وهو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه (معنى الدلالة) الى آخر

لمناسبة بينهما (قصد النص) ثم يرجع الى إتمام الأول .

د- الادماج : وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى (معنى الدلالة) معنى آخر لم يصرح به (قصد النص) .

هـ- المذهب الكلامي : وهو أن يورد المتكلم على صحة دعواه (معنى الدلالة) حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب (قصد النص).

و- حسن التعليل :وهو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة (معنى الدلالة) ، ويأتي بعلّة أدبية تتاسب الغرض الذي يرمي اليه (قصد النص) .

ز - التجريد :وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة (المعنى الدلالة) أمراً آخر مثله في تلك الصفة (قصد النص) .

ج- التفريق : وهو أن يعتمد المتكلم الى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً (معنى الدلالة)، بذكر مايفيد معنى زائد فيما هو بصدده (قصد النص) من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الأغراض .

ط- المبالغة : وهي أن يدعي المتكلم لوصف (معنى الدلالة) بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعداً او مستحيلأ (قصد النص)

ي- تأكيد المدح (قصد النص) بما يشبه الذم (معنى الدلالة)

ك- تأكيد الذم (قصد النص) بما يشبه المدح (معنى الدلالة)

ل- المواربة :وهي أن يجعل المتكلم كلامه (معنى الدلالة) بحيث يمكنه أن يغير معناه بتحريف أو تصحيف (قصد النص) أو غيرهما ليسلم من المؤاخذه

م- الاكتفاء :وهي أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً (معنى الدلالة) يستغني عن ذكره بدلالة العقل عليه (قصد النص) .

وتأسيساً على ذلك لنا أن نقول :إن قصدية النص في الدرس النصي هي الوجه الآخر لمعنى الدلالة في الدرس الدلالي ،وإن المزية في نقاط الإلتقاء بينهما موجودة ،وحاضرة في نقاط الاختلاف بينهما أيضاً ،فكانت نصية الدرس الدلالي ،ودلالية الدرس النصي حاضرة بثلاث مراحل ،هي :

١-القصد:بمعنى ما نواه المتكلم

٢-غاية النص : بمعنى وسائل المتكلم في النص ، وله صورتان ، هما :

أ-تفسير النص وتحليله

ب-تأكيد النص وتثبيته

٣-المعنى :بمعنى الصورة الدلالية للنص ،ولها ثلاثة أشكال ،هي :

أ-المعنى

ب-معنى المعنى

ج-ظلال المعنى

السياق بين (قصد النص) و(معنى الدلالة).

السياق أو المقامية، أحد معايير النصية السبعة، وله أهمية كبيرة في تحديد دلالات الألفاظ في النصوص كما أن له أهمية كبيرة في تحديد قصدية هذه الدلالات ومعانيها ، ويظهر ذلك جلياً فيما عُرِف من ألفاظ المشترك اللفظي ، فالسياق ((لايسمح بتعدد معاني الكلمات الا ماكان من باب الألفاظ أو الكناية والمجاز ، وهنا يبرز عامل القرينة الذي يعود بالكلمة ويضعها في حيز دلالي واحد بعد تأمل السامع))(٤٥).

ومن هنا فاقت أهمية المعنى السياقي المعنى المعجمي لأنه ((يحدد معنى واحد بحسب ما دلت عليه في سياق النص))(٤٦) ، بل أنه ((مجموع النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها وعليه يتوقف الفهم الصحيح لها)) (٤٧) ، والسياق يساوي قصد النص من جهة ويساوي معنى الدلالة من جهة أخرى ، ولنا أن نوضح ذلك في التطبيق الآتي :-

قال تعالى ((ذق إنك أنت العزيز الكريم))(٤٨) .

فالمعنى السياقي دلنا ((على أن المراد هو الدليل الحقيق على عكس ما يوحي به ظاهر اللفظ))(٤٩) ، ولولاه لانقلب معنى الآية كلياً ، لأن الألفاظ في الآية الكريمة لاتوحي بقصدية التهمك فهذه وظيفة المعنى السياقي ، ولايقوم السياق بهذه الوظيفة فقط وإنما يتعدها ((الى وظيفة أخرى تخص بترجيح معنى معين على ماسواه ، وتقوية دلالة مخصوصة على حساب دلالات مرجوحة))(٥٠) .

والسياق بعد ذلك أربعة أنواع ٥١، اثنان لقصد النص واثنان لمعنى الدلالة ، وعلى النحو الآتي :

معنى الدلالة	قصد النص
١- السياق النصي	١- السياق المقامي
٢- سياق الحال	٢- السياق المرجعي

فأما نوعا السياق الخاص بقصد النص ، فهما:

أ-السياق المقامي :ويعنى بأثر المناسبة في النص.

ب-السياق المرجعي :ويعنى بأثر التناص في النص .

وأما نوعا السياق الخاص بمعنى الدلالة ، فهما:

أ-السياق النصي: ويعنى بدلالة مجموع النص

ب- سياق الحال: ويعنى بدلالة مجموع الظروف والوقائع ، كالظروف الاجتماعية ، والنفسية ، والثقافية.

قوالب الدلالة بين (قصد النص) و(ومعنى الدلالة) :

لقصد النص ، ومعنى الدلالة قوالب دلالية ، تأخذ قالب النغمية مرة ، وقالب الشكلية مرة ثانية ، وقالب الصيغة مرة ثالثة.

ويختلف أثر هذه القوالب على قصدية النص ومعنى الدلالة بحسب طبيعة أركان العملية اللغوية الثلاثة (المتكلم ، والنص ، والمتلقي)، فأثرها ليس واحداً على كل الأنواع الإنسانية المتحاوره أو الأجناس النصية المتداولة ، وهي كالاتي:

١- قالب النغمية

وتتكون هذه الدلالة لدى السامع من المران والدربة على سماع صيغ بعينها ، فمثلاً لو أن طفلاً إعتاد على سماع عبارة (اسمك ايه يا شاطر) وهو يُجيب اسمي (فلان) ((فاذا نطق أمامه أحد الناس بما يشبه هذا السؤال في مجموعة كأن يقول مثلاً :اسمك ليه يا شافط ، فقد يسارع الطفل الى الإجابة التقليدية وينطق اسمه))(٥٢) .

٢- قالب الشكلية :-

وهي تجربة قام بها د.تمام حسان (٥٣) فرسم شكلين مختلفين أحدهما يشبه الغيمة والآخر يشبه النجمة ثم وضع إسمين (اومبوبو ، كيكيريكي) وطلب من الطلبة - وهم من دول مختلفة - أن ينسبوا كل اسم الى شكله ، فأجمع الطلبة على جعل الإسم الأول الى الشكل الذي يشبه الغيمة ، وجعل الإسم الثاني الى الشكل الذي يشبه النجمة ، على الرغم من أن الكلمتين لا يدلان ((على معنى معين في أية لغة على ما أعلم))(٥٤) ، مما يدفع بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنه ((ربما تكون صلة طبيعية بين اللفظ والشكل على الأقل))(٥٥)

ومن الجدير بالذكر أن قضية (قالب الشكلية) أو علاقة (الدال بالمدلول) هي من القضايا اللغوية القديمة الحديثة ، فالباحثون فيها بين منكر لها وأخذ بها ، وبين الفريقين (قدماء ومحدثين)سجلات طويلة وآراء كثيرة ، رأيتُ الإعراض عن ذكرها مكتفياً بما ورد عنها في بعض دراسات الباحثين(٥٦) .

٣- قالب الصيغة :-

بمعنى أن الصيغة هي الحاكم في الدلالة ، وإنما ((تأتي وظيفة الكلمة من صياغتها ووضعها ، لا من دلالتها على مفهومها اللغوي ، ولذلك يستطيع المرء أن يعرب كلمات لامعنى لها ، ولكنها مصوغة على شروط اللغة العربية ، ومصروفة على غرار تراكيبيها)) (٥٧) .

فلو طلبت من أي باحث في اللغة العربية أن يعرب النص الآتي من دون أن يعرف دلالتة لفعل ويكل سهولة :-

((احتكف المستعص بسقاحته في الكمظ))(٥٨) ، فالإعراب إذن هو ((فرع المعنى الوظيفي ، لا المعنى المعجمي ولا المعنى الدلالي))(٥٩) .

وإذا صح هذا الكلام فإنه يصح في اللغة العربية حصراً ، لأنها اللغة الوحيدة التي انفردت بظاهرة الإعراب على ما أعلم ، مما يجعل مهمة إعمام هذا القالب على بقية اللغات ، أو مهمة مطالبة الدرس النصي الحديث الذي اختار اللغات الأوربية ميداناً لتطبيق نظريته ، بالأخذ بهذا القالب ، أو مهمة البحث عن دلالية الدرس النصي في هذا القالب مهاماً صعبة المنال .

أركان العملية اللغوية موزعة بين (قصد النص) و(معنى الدلالة) في الدرسين النصي والدلالي
وهنا أود أن أقدم مسرداً لأركان العملية اللغوية موزعة بين قصد النص ، ومعنى الدلالة ، وعلى النحو الآتي

١- المتكلم :ويشمل

أ-المكون السياقي :وهو مكون خاص ((بمعرفة الفعل الكلامي نفسه))(٦٠) / قصد النص .

ب- جزء من الترادف يتعلق بالمتكلم /معنى الدلالة

ج-جزء من المشترك اللفظي يتعلق بالمتكلم /معنى الدلالة

د-دلالة السياق /قصد النص ، ومعنى الدلالة

٢- النص : ويشمل

أ-المكون المعجمي وهو مكون ((يختص بدلالة الكلمة المفردة))(٦١) / معنى الدلالة

ب-دور السياق في توجيه النص /قصد النص

ج-جزء من الترادف يتعلق بالنص /معنى الدلالة

د-تماسك النص /قصد النص

هـ-أنواع الدلالة /قصد النص ومعنى الدلالة

٣- المخاطب :ويشمل

أ-المكون النحوي ((وهو مكون وظيفي خاص بوسائل اللغة واتساقها في تركيب العبارات

والجمل))(٦٢) / قصد النص ، ومعنى الدلالة

ب-الحذف الذي يكون على أساس علم المخاطب /قصد النص

ج-جزء من الترادف يتعلق بالمخاطب /معنى الدلالة

د-جزء من المشترك اللفظي يتعلق بالمخاطب / معنى الدلالة

هـ-الغموض اللغوي (اللبس بكل أنواعه) / قصد النص ومعنى الدلالة

و-الخبر والطلب / قصد النص

ز- تفسير المحذور اللغوي / معنى الدلالة

ج- دلالة المجاز / قصد النص

وليس المقصود من المسرد المذكور سلفاً أن نحصي صور المتكلم أو النص أو المتلقي ، فهذا أكبر من أن يحصى ، ولا المقام مقامه ، وإنما المقصود من ذلك المسرد تتبع محال قصد النص ، ومعنى الدلالة ، وكيف أنهما يلتقيان في صورة واحدة ، كأصورة دلالة السياق مع المتكلم ، وصورة انواع الدلالة مع النص ، وصورة المكون النحوي ، والغموض اللغوي مع المخاطب .

أو كيف أنهما ينفردان كما في بقية الصور مع أركان العملية اللغوية الثلاثة .

إن إنفراد قصد النص أو معنى الدلالة يختلف باختلاف المتكلمين ونصوصهم ، ومخاطبيهم ، ولا سيما في المحاورات ، أي: بتبادل الأدوار ، فيكون المتكلم مخاطباً ، والمخاطب متكلماً ، وتأخذ النصوص بتبعية أصحابها ، فلا ضابط في ذلك سوى مستوى المتكلمين والمخاطبين .

نستثني مما تقدم كلام الخالق تعالى ذكره ، وكلام المعصوم أيضاً ، فليس لقصد النص أن يكون حاضراً من دون حضور معنى الدلالة ، ولا لهذا الأخير أن يحضر من دون حضور صاحبه ، لأن النصوص في مثل هذه الاحوال تكون مقصودة المعاني على وجه الدقة والحقيقة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها :
أ- قوله تعالى ((أتى أمر الله فلا تستعجلوه)) (٦٣)

فعبر عن زمن المستقبل بالماضي عن قصد ودراية لحتمية وقوع الأمر ولقصديته. (٦٤)

ب- قول الإمام الحسين "عليه السلام" لأهله وأصحابه "رضوان الله عليهم أجمعين" ليلة العاشر من المحرم من سنة ٦١ هـ : ((الا وإني قد أذنت لكم جميعاً، فانطلقوا في حلٍ ، ليس عليكم مني حرج ، وذروني وهؤلاء القوم ، فإنهم لا يريدون غيري)) (٦٥)

فمعنى نص كلام الإمام "عليه السلام" مقصود ، ولا يحتمل أن يكون المعنى منه إختبار عزائمهم قبل بدء المعركة ، فلم يبقَ شيء من هذا في تلك الليلة ، وقد اجتمع عليهم الناس من كل حذب وصوب ، وأناخوا عليهم يريدون قتلهم ، ولو شاء أحدهم ، واختار أن يترك معسكر الحسين "عليه السلام" وأن يعود من حيث أتى _ وهو ضرب من الخيال _ فهو مرخوص من الإمام شرعاً ، وليس عليه سوى أنه لم يدرك الفتح .

عندما يغادر قصد النص معنى الدلالة

إن الانفصال قصد النص عن معنى الدلالة يؤدي الى ما يُعرف بتطور الدلالة ، وإنَّ من أهم الأسباب التي تؤدي الى هذا الانفصال هي :-

١- الإستعمال

فالألفاظ ((وجدت ليتناولها الناس ، وليتبادلوا بها في حياتهم الإجتماعية ، كما يتبادلون بالعملة والسلع ، غير أن التبادل بها يكون عن طريق الأذهان والنفوس))(٦٦) ، وترافق هذا الإستعمال اليومي عوامل تساعد على حضور تطور الدلالة ، منها (٦٧) :-

أ-سوء الفهم :نحو :على الرغم والاستهتار ،والمنوال ،والنمط ، والأرض

ب-بلى الألفاظ :نحو : الباشا ،وبك وأفندينا ، والملوكية ، والحمام خانة ، وبعض الألفاظ التي تتعلق بالأنظمة السياسية السابقة .

ج-الابتذال :نحو ألفاظ السب والشتم والقدارة .

والباحث في سبب ظهور هذه العوامل يجد أن مستعملي تلك الألفاظ غادروا (قصد النص)فأمكنهم ذلك من توجيه الألفاظ وجهة جديدة .

٢- الحاجة .

فحاجة الناس الى معاني جديدة تجعلهم يغادرون (قصد النص) في ألفاظهم وتركيبهم المتداولة وليس من سبيل الى ذلك سوى ((المجاز أو الإنتقال من مجال مألوف الى آخر))(٦٨) فضلاً عن ذلك فإن التغيير الاجتماعي في البلد أو الاقتصادي أو السياسي يزيد من حاجة الناس الى معاني جديدة .(٦٩)

نحو الإعراب بين قصد النص ومعنى الدلالة :-

ذكرنا سلفاً أن ظاهرة الإعراب من الظواهر اللغوية التي اختصت بها اللغة العربية ، وإن لهذه الظاهرة أثرين في اللغة العربية ، وهما

الأول معياري :-

ويعتمد على قصد المتكلم في النص اللغوي ، ويندرج تحته مجموعة من الأبواب النحوية التي تستعمل الرفع والنصب والجر معتمدة على قصد المتكلم في أساليب الاغراء والتحذير والنفي ، والتوكيد ، والقسم ، والنداء ، والاستفهام ،والتعريف في المعرفة ، والنسب الى المضاف من الأسماء ، وتقديم ما حقه التأخير ، والإختصاص (٧٠).

وهي مساحة اجتهد في توسعتها البلاغيون والدالليون لاطهار الجمال النصي واللغوي في تراكيب النصوص اللغوية مستشهدين لذلك بمجموعة من شواهد اللغة من القرآن الكريم ، والحديث النبوي

الشريف ، وكلام العرب شعراً أو نثراً ، كانت قد خرقت القاعدة اللغوية فأجادت التركيب والمعنى (٧١).

ولاتدخل في ذلك الأبواب التي يكون من حقها الرفع أو النصب أو الجر كالأبواب التي يكون فيها (الإسناد) عمدة الكلام ، وقصده ، وهذه مساحة قوضها اللغويون والنحاة الأوائل ، ولم يرتضوا لشاعر أو ناثر الخروج عنها ، وقد تحملوا في سبيل ذلك هجاءً وسباباً (٧٢).

الثاني دلالي :-

ويعتمد على معنى الدلالة أو نحو الدلالة ، وهو جانب أفاد منه الأصوليون ، ووسعوا مساحته ، للأفادة منه في استنباط الأحكام الشرعية ، وهنا تحضرني مقولة الجرمي في هذا الأثر ((أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس من كتاب سيويه)) (٧٣)

نتائج البحث

انتهت الدراسة الى مجموعة من النتائج المهمة ، لنا أن نوجزها بالآتي :-

١- لم يكن الدرس الدلالي عند علماء العربية القدماء درساً مستقلاً عن بقية الدروس اللغوية ، وأن مانسميه اليوم بعلم الدلالة ونصفه بأنه علم من علوم اللغة العربية ، كان قد تناثرت قضاياها بين

الكتب والمعاجم اللغوية ، والمصنفات القرآنية وكتب النقد والبلاغة .

٢- إن مدار الدلالة عند علماء العربية القدماء تتمثل بالإيجاز ، والمعاني المنقولة من المتكلم الى

المتلقي ، والقصد والإرادة ، والإنسجام والتناسق ، ومعرفة الشيء ومقبوليته ، ووضع الكلام على

النهج الذي يقتضيه من سبك وحبك لانتزاع صورة ذهنية صحيحة وواضحة ، وهذه كلها تمثل

معايير تحقق (النصية) في الدرس النصي الحديث .

٣- إن فكرة (معاني النحو ومعاني الكلم) التي طرحها الجرجاني جديرة بالإهتمام والبحث والدراسة

لأنها تشير الى (نحو الاعراب ونحو الدلالة) أو أنها تشير الى نصية الدرس الدلالي ودلالية

الدرس النصي ، ولأن الجرجاني لم يطلع على مضامين الدرس النصي الحديث فزاد ذلك من جدارة

فكرته في نظرية النظم .

- ٤- سجل البحث حضور قصد النص في المعنى الدلالي وحضور المعنى الدلالي في قصد النص ، وتتبع ذلك في المحسنات اللفظية والمعنوية لعلم البديع أحد علوم البلاغة العربية .
- ٥- إن تفاوت المقاصد يؤدي الى تفاوت المعاني فترتب على ذلك ثلاثة منازل للمعنى (المعنى ، ومعنى المعنى ، وظلال المعنى) .
- ٦- أثبت البحث تأرجح قوالب الدلالة بين ثلاثة أشكال ، وهي (قالب النغمية ، وقالب الشكلية ، وقالب الصيغية) .
- ٧- سجل البحث أثر أركان الضيع اللغوي (المتكلم والنص والمتلقي) على المفردات الدرسية النصي والدلالي .
- ٨- علل البحث حالة تطور الدلالة بسبب تجرد معنى الدلالة عن قصدية النص ، وكان ذلك بعاملين مهمين ، وهما : الإستعمال والحاجة ، يصحبهما عوامل فرعية تمثلت بسوء الفهم ، وبلى الألفاظ ، والإبتذال ، وحالات التغير الاجتماعي والسياسي والإقتصادي .

الهوامش

- ١- علم الدلالة التطبيقي : ١٩٨-١٩٩
- ٢- ينظر منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٦٦-١٦٧
- ٣- النحو والدلالة : ١٩
- ٤- ينظر مفاهيم علم لغة النص عند سيبيويه : ١٥٣
- ٥- ينظر مفاهيم علم لغة النص عند سيبيويه : ١٥٥
- ٦- علم الدلالة أصوله ومباحثه : ١٩٦
- ٧- نفسه : ٢٢٥
- ٨- الخصائص : ٣٣/١
- ٩- النحو والدلالة : ٣٩
- ١٠- علم الدلالة أصوله ومباحثه : ٢٢٤
- ١١- دلائل الإعجاز : ٢٥٤
- ١٢- علم الدلالة : ٢٤٣-٢٤٤
- ١٣- ينظر مفاهيم علم لغة النص عند سيبيويه : ١١٥
- ١٤- ينظر نفسه : ١٨٠
- ١٥- ينظر نفسه : ١٨٠
- ١٦- دلائل الإعجاز : ٤٦٣
- ١٧- علم الدلالة : ٢٤٩
- ١٨- ينظر مفاهيم علم لغة النص عند سيبيويه : ١٦٧
- ١٩- دلائل الإعجاز : ٧٣
- ٢٠- جواهر البلاغة : ٤٨
- ٢١- المصطلح النحوي ، نشأته وتطوره : ٧
- ٢٢- ينظر شروح الذهب : ١١
- ٢٣- ينظر النص والخطاب والاجراء : ١٠٣
- ٢٤- أصول البلاغة ٧٦ هامش ١
- ٢٥- نفسه ٧٦ هامش ١
- ٢٦- دلائل الإعجاز : ٤٩
- ٢٧- ينظر مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه : ٨١
- ٢٨- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٦٢

أصول البلاغة : ٧٦	- ٢٩
المفردات في غريب القرآن : ١٧١	- ٣٠
نقلاً عن البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني : ٦٦	- ٣١
علم الدلالة التطبيقي : ٢٧	- ٣٢
ينظر مفاهيم علم لغة النص عند سيبيويه : ١١٨	- ٣٣
منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٧٢	- ٣٤
ينظر نفسه : ١٧٣-١٧٤	- ٣٥
ينظر مفاهيم علم لغة النص عند سيبيويه : ١١٨	- ٣٦
ينظر الأسلوب والنحو : ١٥	- ٣٧
منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٦٤	- ٣٨
ينظر نفسه : ١٦١-١٧٠	- ٣٩
دلائل الاعجاز : ١٨٠	- ٤٠
نفسه : ١٨٠	- ٤١
ينظر البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٧٠	- ٤٢
نفسه : ١٧٠	- ٤٣
ينظر جواهر البلاغة : ٣٠١-٣٤٣	- ٤٤
منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٦٨	- ٤٥
نفسه : ١٦٨	- ٤٦
دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية : ٢٣	- ٤٧
سورة الدخان : ٤٩	- ٤٨
دور السياق في الترجيح : ٢٧	- ٤٩
نفسه : ٣٠	- ٥٠
نفسه : ٢٦	- ٥١
دلالة الالفاظ : ٤١	- ٥٢
ينظر مناهج البحث في اللغة : ٢١٧	- ٥٣
الوجيز في فقه اللغة : ٣٨٠	- ٥٤
نفسه : ٣٧٩	- ٥٥
ينظر علم الدلالة التطبيقي : ١٩٦-٢١١	- ٥٦
مناهج البحث في اللغة : ١٩٣	- ٥٧

- ٥٨- نفسه : ١٩٣
- ٥٩- نفسه : ١٩٤
- ٦٠- علم الدلالة التطبيقي : ٢٩٨ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٢٣٦
- ٦١- نفسه : ٢٩٨ و ٣٨٦ و ٣٩٢ و ٤٧٥ و ٣١٦
- ٦٢- نفسه : ٢٩٨ و ٤٢٧ و ٣٩٢ و ٣٩٨ و ٤٣٨ و ٤٠٢ و ٤١٥ و ٢٢٣
- ٦٣- سورة النحل ١
- ٦٤- ينظر الميزان في تفسير القرآن : ٤٣٠/١٢
- ٦٥- منتهى الآمال في أخبار الغرة والآل : ٤٧٩/١
- ٦٦- دلالة الألفاظ : ١٣٤
- ٦٧- ينظر نفسه : ١٣٥-١٤٠
- ٦٨- نفسه : ١٤٥
- ٦٩- ينظر نفسه : ١٤٥
- ٧٠- ينظر مفاهيم علم لغة النص عند سيبيويه : ١٢١-١٤١
- ٧١- ينظر علم الدلالة العربي : ٢٠-٥٠
- ٧٢- ينظر النظرية النقدية عند العرب : ٩٨-١٢١
- ٧٣- نقلاً عن البحث النحوي عند الأصوليين : ٣٠

المصادر والمراجع

أشرفها القرآن الكريم

١- الأسلوب والنحو ، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية ،

د.محمد عبد الله جبر ، دار الدعوة ، الأسكندرية ط. الأولى ١٩٨٨

٢- أصول البلاغة ، كمال الدين ميثم البطراني ت ٦٧٩ هـ تحقيق د.عبد القادر حسين ، دار الشروق

، القاهرة ١٩٨١

٣- البحث النحوي عند الأصوليين ، د. مصطفى جمال الدين ، وزارة الثقافة العراق ١٩٨٠

٤- البلاغة فتونها وأفنانها ، علم المعاني ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط.الرابعة ١٩٩٧

٥- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي المكتبة العصرية ، بيروت ضبط

وتدقيق وتوثيق د.يوسف الصميلي .

- ٦- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢ هـ ، وتحقيق محمد علي النجار دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٠م
- ٧- دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ١٩٦٩م
- ٨- دلائل الالفاظ ، د.ابراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط.الخامسة ١٩٨٤
- ٩- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية ، د. محمد إقبال عروي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الاسلامية ، الكويت ، ط.الاولى ٢٠٠٧
- ١٠- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيني الدين عبد الحميد ، د.ت
- ١١- علم الدلالة أصوله ومباحثه (منقول عبد الجليل ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠١
- ١٢- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي / د.هادي نهر ، دار الأمل ، الاردن ، ط.الاولى ٢٠٠٧
- ١٣- علم الدلالة العربي د. فايز الداية ، دار الفكر ، دمشق ، ط الثانية ١٩٩٦
- ١٤- مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقية ، محمد الأخضر الصبيحي ، الدار العربية ناشرون ، الجزائر ، طالاولى ٢٠٠٨.
- ١٥- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عوض حمد القوزي ، عماد شؤون المكتبات ، الرياض ١٩٨١ .
- ١٦- مفاهيم علم لغة النص عند سيبويه ، مرتضى مزيد جبر ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية الاداب ٢٠١٤
- ١٧- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ٥٠٢ هـ تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت د-ت
- ١٨- مناهج البحث في اللغة / د.تمام حسان ، د.ت
- ١٩- منتهى الآمال في أخبار العترة والآل ، عباس القمي ، دار المصطفى العالمية، ط ٢ ، ٢٠١١
- ٢٠- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د.علي زويني ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ١٩٨١

- ٢١- الميزان في تفسير القرآن ،محمد حسين الطباطبائي تقديم جوادي آملي دار الأضواء ، بيروت
- لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٠
- ٢٢- النحو والدلالة ، د.محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، القاهرة ، ط.الأولى ، ٢٠٠٠
- ٢٣- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة د.تمام حسان عالم الكتب ، القاهرة
، ط.الأولى ١٩٩٨
- ٢٤- النظرية النقدية عند العرب ، د.هند حسين طه ، وزارة الثقافة ، العراق ١٩٨١
- ٢٥- الوجيز في فقه اللغة / محمد الأنطاكي ، دار الشرق / ط.الثالثة (د.ت)